# "الطّياحة" والتّحكم السّحري في العيّن الشّريرة"–دراسة انثربولوجية

# "The Tayyaha" and The Magical Control of the Evil Eye - An anthropological Study

**صفاء زغدي[1] * ، زهية طراحة[2]**

[1] جامعة تيزي وزو (الجزائر)، safazeghdi36@gmail.com
[2] جامعة تيزي وزو (الجزائر)، zteraha@yahoo.fr

**تاريخ الاستقبال:** 2022/09/15؛ **تاريخ القبول:** 2023/05/31؛ **تاريخ النشر:** 2023/08/28

**ملخص:** الاعتقاد بالعلاج السّحري من الرواسب الثّقافية الباقيّة في الثقافة الشعبية، فمازال هناك سحرة متخصصون، يعملون تحت مسميات مقبولة اجتماعية، كالساحرة التي اخذت اسم "الطّياحة"، في الأوساط الشّعبية بمنطقة سوف. وتخصّصت في علاج الأمراض النّفسيّة التي يُعتقدُ أنّها مرتبطة بالعيّن الشّريرة. ولما كان اسم "الطّياحة" لا يأخذ معنى التّجريم والتّحريم في الثّقافة الإسلامية، فهي تباشر مهنتها تحت غطاء ديني، لكنها في الوقت ذاته حافظت على بعض المعتقدات والممارسات السّحرية الغابرة كالتّعاويذ والتبخير...الخ. وقد تناولنا في هذه الورقة البحثيّة دراسةَ وتفسير استمرار اعتقاد النّاس في "الطّياحة" وتحكّمها السحري في المرض والشفاء، وذلك استنادا إلى بعض النظريات الأنثروبولوجية. في معرفة من هي هذه الطياحة، والكشف عن الأسباب التي تجعل الإنسان يلوذ بالسّحر كلما اشتد عليه المرض، بالرغم من أنّ ثقافته الإسلامية تحرم السّحر وتجرم السّاحر، كما أنّ العلم أبطل كل الممارسات السّحرية واعتبرها ضربا من الزيف والخداع.

**الكلمات المفتاح** : السحر؛ الطياحة؛ انثروبولوجيا؛ وادي سوف.

**Abstract:** Witchcraft remedies is one of the well-preserved cultural remnants in the folklore culture. For there stills witches practicing sorcery under socially acceptable names such as the sorceress known as- Tayyaha- in Oued Souf folk society for its specialty in treating the psychological illnesses like the evil eye. And because the name of "The Tayyaha" has neither prohibitive nor incriminating connotation to the Islamic culture, she carries her profession under a religious cover while preserving at the same time some of its ancient magical beliefs and practices such as incantations, fumigation, …etc. Basing on various anthropological theories, some explanations are sought in this research paper so as to identify the reasons behind the constancy of these practices. As well as revealing the causes for people to resort to witchcraft whenever illness intensifies despite the prohibition of sorcery and incrimination of sorcerer by the Islamic culture. In addition to the fact that science has invalidated all occult practices and considered them a form of falsehood and deception.

**Keywords:** Witchcraft ; Tayyaha ; Anthropology ; Oued Souf.

* المؤلف المرسل.

**مقدمة**

يشكّل موضوع السّحر واحدا من أهم القضايا التي هيمنت على تفكير الإنسان مُنذُ القديم، لأنه مرتبط بممارسات الساحر أو الكاهن، الذي يُعتقد في قدرته على تطويع القوى الغيبية "الميتافيزيقية"، المتحكمة في الأمراض والأسقام، ولذلك لجأ الإنسان إلى السّحر العلاجي كأحد الأدوات، فالسّحر وسيلة من الوسائل الهامة التي استعملها الإنسان منذ القدم في صراعه من أجل حفظ بقائه.

نجد في المجتمع المحلي " وادي سوف" العلاج السّحري من أهم المعتقدات الثقّافية التي بقيت محافظة على وجودها، فعلى الرّغم من أن الثّقافة الإسلامية، تنبذُ السّحر وتجعله محرما، وفي عصر التطور العلمي والتكنولوجي الحالي الذي يبطله، إلا أنّ العامة لم يستغن عنه الممارسات، خاصة فيما يتعلق بالأمراض التي لا يعترف بها الطب الرّسمي. ومن الأمراض التي يعتقد فيها النّاس "العين الشريرة"، هذه التي يخشونها ويبررون جلّ امراضهم وانتكاساتهم بها، فبمجرد إحساس أحدهم بوجود خلل عضوي أو نفسي، يهرع مباشرة إلى السّحرة المختصين في طرد لعنة العيّن، ومن أهمهم في منطقة "وادي سوف" "الطّياحة"، التي تمارس مهنتها بغية الكشف عن العيّن الشريرة. جَعَلَنَا اهتمام النّاس المفرط بالسّحر والسّاحرة "الطّياحة" نبحث في موضوع (الطّياحة والتّحكم السّحري في العيّن الشّريرة) فهو موضوع ذات أهمية، نحاول من خلاله الكشف عن بقايا الرّواسب الثّقافية التي بقيت حاضرة في الثّقافة المعاصرة، وهذا ما يدفعنا لطرح أسئلة: بما أن الثّقافة الإسلامية تنبذ السّحر، ما هي المسَوغات التي تجعل الإنسان يلوذُ به حين يَشّتد المرض؟ ما هي المعتقدات التي تؤمن بها العامة والتي جعلت من العلاج السّحري مقبولا اجتماعيا؟ ومن هي هذه الطّياحة وما هو الطقس الذي تمارسه في علاج العين الشّريرة؟ ولماذا بقي الاعتقاد في العين الشريرة متجذرا في العقول إلى اليوم؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة سنستعين بالنظريات الانثربولوجية، خاصة الانثربولوجيا التّطورية، والرّمزية.

## 1. تعريف السّحر والعيّن الشّريرة:

### 1.1. تعريف السّحر

يمكننا أن نتخيل صدمة أول جماعة بشرية واجهت المرض، كما يمكننا أن نستحضر تلك التّساؤلات التي كانت تطرحها حول ماهية المرض ومسبباته، كي يتسنّى لها أن تعالجها، وتباشر حياتها وتتمتع بصحة جيدة، تمكنها من مواجهة الطبيعة وتحدياتها. وبما أن الإنسان دائما يسعى إلى تلبية حاجاته الأساسية، أهمها حفظ بقائه ونوعه، راح يشغّل تفكيره، ومَالَ إلى الاعتقاد بوجود قوى مستترة، لها قدرات خارقة، تتحكم بحياته مصيره، وهي المسؤولة والمسبّب الأول، لكلِّ الأمراض والعِلل التي تُصيّبه، وقد تنهي حياته. وبعد أن أقر الإنسان بتلك القوى الخفية، حاول استمالتها واسترضاءها، كي يحقق أغراضه، ويخفف من أمراضه، وبهذا تَشكّل مفهوم المرض لدى المجتمعات القديمة. "فلقد نظر الأقدمون إلى المرض في كافة أشكاله على أنه نتيجة لتدخل قوى فائقة المقدرة جعلت من وجوده أمرا ممكنا، سواء كانت هذه القوى آلهة، أو قوى شيطانية، لها القدرة على إيذاء الإنسان، وإنزال أفدح الضرر به" (يحي، 2015، صفحة 21)، وفقا لهذا تصبح الأمراض مشخّصة في شكل كائن خفي كالشيطان أو الجنّ (دوتي، 2018، صفحة 189)، حسب اعتقادهم الرّاسخ.

إذا كان كما ذكرنا أن الإنسان، تصور بفضل إحساسه وخياله أيضا وجود قوى غيبية، أقدر وأعلى منه منزلة، هي التي تسبب له الأمراض، نتيجة للأخطاء التي اقترفها، ولهذا حاول استعطافها واستمالتها لخدمة أغراضه، وشفاء نفسه، فتوسل بالقرابين والنّذور والتّمائم، تبعا لهذا برز السّحر في العلاج، " من أجل مساعدة الإنسان على التّخلص من الآثار السلبية، لاستحواذ قوى شريرة عليه والعمل على طردها" (يحي، 2015، صفحة 10). فقلد عُرف السّحر منّذ القديم، خاصة عند الجماعات البدائية. وتعريف السّحر ليس بالأمر السّهل، حيث حاول العديد من الفلاسفة، وعلماء الأنثروبولوجيا إعطاءه مفهوما خاصا، فمن التّعاريف التي يمكن تبنيها أنه " طقس مدفوع بالرغبة في الحصول على تأثير معين، وينظر إلى السحر كمحاولة تسخير قوى روحية أو فوق طبيعة، باستخدام الوسائل الطقوسية (شميث،

2009، صفحة 30)وقد وصف "تايلور" السّحر بمصطلح "العلم الزائف"، وكان يعني بهذا أن السّحر على غرار العلم، يفسر العلاقة السببية بين الأشياء ويستغلها، لكنه علم فاسد لأن افتراضاته وتفسيراته البدائيّة حول السبب والنتيجة كانت دوما خاطئة، كما أنه كان يصف السّحر بأنه "توليفة وحشية"، وأحد أخبث الأوهام التي حيرت العالم" (ديفينز، 2014، صفحة 21).

هناك سحر العامة الذي يمارسه جميع أفراد المجتمع، في ممارساتهم اليومية، وهناك سحر خاص يمارسه أشخاص متخصصون، لذلك نجد من يُعَرّف السّحر، "بأنه قوى خفية كامنة في بعض الأفراد تمكنهم من السيطرة على الطبيعة والتّحكم فيها، من يملك هذه القوى الخفية يصبح ساحرا يستطيع أن يتصرف في مصير الأفراد، ويقوم بدور الوساطة بين الطبيعة والمجتمع وبين المجتمع وما فوق الطبيعة من جهة أخرى" (غنيم و فاتن مُحَمَّد شريف، الصفحات 8–7). وقد مارس الإنسان أنواعا كثيرة من السّحر. أهمها السّحر التّشاكلي التشابه، القائم على مبدأ أن الشيء يأتي بمثله أو أن الأثر يشبه المؤثر ينتج الشبيه، وقانون الانتشار أو الاتصال، الذي يقضي بأن الأشياء التي كانت يوما متحدة تظل على صلة بعد انفصالها الفيزيائي (فريزر، 2014، صفحة 29).

كان السّحر في معظم الثقافات من الأدوات العلاجية الشائعة، وعليه ليس بغريب أن يطلق السّاحر على نفسه اسم طبيب، ولقد اعتبر "ادون دوتيه"، من خلال تواجده في البلاد المغاربية أن سكان شمال افريقيا لا يزالون يعتبرون الطبيب ليس في الأصل سوى ساحر مضاد (دوتي، 2018، صفحة 38)، كما أنهم يعتقدون أن الطّب ابن السّحر، وفي كافة مجتمعات القطب الشمالي يسمى الطبيب السّاحر والشامانshaman، (الماجدي، 1998، صفحة 90)وفي مصر القديمة لا يوجد تمييز بين السّحرة والأطباء، فالأطباء سحرة تمنحهم الآلهة قدرة، على تفسير وشفاء من تنزّل عليهم اللّعنات بتلاوة التّعاويذ واستخدام تقنيات سحرية، كما اعتقد الفراعنة بأنه ليس هناك فارقا في الشّكل والمضمون بين سلوك السّاحر وسلوك الطبيب (كونج، 1999، الصفحات 79–78). وفقا لهذا احتل السّحرة في معظم الثقافات مكانة رفيعة تجعلهم مؤهلين لتسلم السلطة من خلال منصب القائد أو الملك. (فريزر، 2014، صفحة 92)

من خلال ما تقدم يمكن أن نفهم لماذا استخدم السّحر في العلاج ولماذا يلوذُ إليه الإنسان لعلاج أمراضه، ذلك أن المرض والسّحر ينطلقان من منطلق واحد، فإذا كان المرض– في الاعتقاد الشّعبي– لعنة من القوى العلوية لها قدرة على التحكم في الطبيعة وما يحيط بها، فإن السّحر قوة تكمن في نفس السّاحر تمكنه من تطويع الطبيعة، وبهذا تجذّر الاعتقاد في العقول أن السّاحر والطبيب مرتبطان.

وبالعودة إلى المجتمعات المحلية في العصر الحديث، وعلى الرّغم التّقدم العلمي الهائل في جميع الميادين لاسيما في المجال الطبي، الذي طوّر من مفهوم المرض، وفَصل بينه وبين المعتقدات القديمة، واستند في ذلك إلى العلم، الذي يعطي تفسيرات قابلة للاختبار، حتى توصل إلى تعريف علميّ للمرض ومسبباته، فالمرض يحصل نتيجة اضطراب في الصحة البدنية أو العقلية (بدري، 1978، صفحة 111)، لكن ما يثير الغرابة أن الشعوب لم تستغن عن العلاج بالسحر، الذي ما زال يمارس على نطاق واسع. فجميع أطياف المجمع من متعلمين وأميين، صغارا وكبارا، نساء ورجالا، يترددون بشكل كبير على السّحرة، (هذا ما حدثنا به الكثير من المتخصصين السّحرة في المنطقة)، كما أنهم يعتقدون في التّعاويذ والتمائم، ويتبركون بقبور الأولياء للحصول على الشّفاء، فمن وراء هذه الممارسات معتقدات متجذّرة راسخة ترفض أن تنمحي بسهولة، وهذا ما نسعى إلى فهمه.

### 2.1. تعريف العيّن الشّريرة

كثيرا ما نسمع في الأوساط الشعبية "فلان ضربته العَين"، فالعَيْن هي تلِك الشُّحنة المدمّرة، التي تَقذِفها النّظرات الحَاسدة، لذلك يصفها العلاّمة بن خلدون، ضِمن التّأثيرات النّفسية، التي تُصيب الإنسان، فيشرح في مقدمته طريقة الإصابة بالعين قائلا: " إن تأثيرات نفس المعيان (أي ذي العين الشّريرة)، عندما يستحسن بعينه مدركا من الذوات والأحوال ويفرط في استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عمن به فيؤثر فساده." (هيبة و جفال نور الدين، 2019، صفحة 63)، والعيّن لما لها

من آثار سلبيّة، قد تؤدي إلى اعتلال الشّخص في بدنه، وقد يَصِل بها إلى أن تؤدي بالشّخص إلى الموت، فالحسد من أكثر المعتقدات تأثيرا في العقول، لما يترتب عليها من نتائج كارثية، لذلك تنتشر في منطقة سوف الكثير من التّعاويذ، يُعتقد أنها ذات قدرة على صدّ العيّن، ومنها نذكر: "خَمْسَة في عَيْنِيك"، "عِينْ الحَسُود فِيهَا عُود"، "اللّهم صلي على النّبي الحَاضِر مُحَمّد والغايب (الغائب)، إبْليس".

لكن على الرغم من كل الإجراءات الاحترازية، إلا أنه قد يحصل أن تتمكن العيّن من أحدهم فتصيبه، ومن هنا وجب عليه العلاج، فإذا كان المِعيان (صاحب العين الحاسدة) معروفا، أخذ من ماء وضوئه، ويَغتسل به المحسود، وهناك إجراء سحري خالص، حيث يأخذ المريض عينة من آثر قدم المعيان، ويضاف إليها المِلح، ويوضع الخليط في ماء بارد، وهو يردد" ذَوَبْت العَيْن، مَا ذَوبت المِلح" (عمامرة)، أما إذا كان المعيان غير معروف، فإن المريض يطرق باب المتخصصين بالعلاج السّحري، وأهمهم "الطياحة" كما سنرى.

**وادي سوف:** تقع في الجنوب الشرقي من الجزائر، يحد واد سوف من جهة الشمال المعبر عنه بالجوف أو الظهرة، بسكرة والحوش وسيدي مُحَمّد بن موسى والفيض والزرائب وبودخان، ومن جهة الشرق، نفرين وأفر كان ونفطة ونفزاوة، ومن جهة الجنوب المعبر عنه بالقبلة واحات طرابلس وغدامس وما والاها، ومن جهة الغرب: تماسين وورقلة وتقرت وما أضيف لها من القرى التي تمر على طريق بسكرة منها وإليه. (الساسي، 2007، صفحة 41).

## 2. انثربولوجيا " الطّياحة" والتّحكم السّحري في العيّن الشّريرة:

### 1.2. الطّياحة وتعويذة التّحكم السّحري في العيّن الشّريرة:

**الطّياحة:** هي امرأة كبيرة في السن، تنحدر من أسرة شريفة، يعتقد أنها ذات طاقة شفائية، لها أدوات خاصة تقوم بواسطتها معرفة أسباب المرض، وطريقة العلاج، من هذه الأدوات نذكر:( الشّوكات، عصابة رأسها، بخور). أدوات يعتقد أنها تحمل قداسة، ولحصول الشّفاء يشترط أن تكون "الطّياحة" قد أخذت الإذن "لفظيا" بالقيام بهذه العملية، من عند أحد كبار العائلة الذين كانوا يمارسون مهنة "الطياحة". يذّهب المريض الذي بدت عليه أثر العين الشّريرة:( التثاؤب، وألام الرأس والكتفين، والخمول، الإعراض عن العمل، ضيقة في الصّدر)، إلى "الطّياحة"، وقد يكتفي بإرسال شيء من أثره، (قطعة من ملابسه مثلا)، بشرط حضور نيّة الشّفاء.

تنزع "الطّياحة" من رأسها عصابة طولها ثلاثة أذرع، وعلى كل ذراع تضع شوكة، ثم تجمع العصابة بين يديها، وتلفها على رأس المريض سبع مرات، ثم تشرع في تمريرها على كامل جسده، وهي تردد التعويذة الآتية: "سَبّقَتْ سِيدِي قْدّام ايدي، مُحمّد صَرَخْتي وعْضِيدِي، مُحمّد فَارِس جّهَاد، سيّدي لاَ جُهُدْ وَلاَ مِقْدَارْ، مَعَمْلِين عَليك يا العَزِيز الجَبَّار، هَام النّفْس والشَّيْطان عَامَة، اصْدُقْنِي كَمَا صَدَقْت اللاَّة فَاطِمة بِنّت النّبِي عَلى السَّيد عَلي، فارس الجّهاد، كَانِكْ من الخَدَمْ أُخرج من القَدَم، وكَانِكْ من القَاعَة أخْرُج في السَّاعة، كَانِكْ من الجْنُون أُخرج من الكَنُون، كانِك من النّسَاء اخرجي من الكّسَاء، كانك من العَبِيد اخرجي من الحَديد، كانك مِن الوَالدين اخرجي من الكرِعِين يَا نَفْس يَا نّفِيسَة اخرجِي مِن هَا لْفِرِيسَة، بِجَاه الله والسّيد عَيسى، بِّجَاه الله والرَّسُول، والنَّبي المشْكُور، أُخرجي يَا خَايْنَة يَا بَهَاتَة، يَا عَدُوة الله، يَا خَلاية لُخْجُور، وَيَا عَمَّارة لُقبُور، أُخرجي بإذن الله والرَّسول أي("(قدّمت سيدي قبل يدي، مُحَمّد صرختي وعضدي، أي مُعيني، مُحَمّد فارس الجهاد، سيدي لا جهد ولا مقدرة، توكلنا عليك يا العزيز الجبار، هام النّفس والشيطان عامة، اصدقني مثل ما صدقتك فاطمة بنت النّبي على السيّد علي، إذا انت من الخدم اخرج من القدم، إذا انت من القاعة،، اخرج في السّاعة، إذا انت من الجن اخرج من الكانون، إذا انت من النّساء اخرج من الملابس، إذا انت من العبيد اخرج من الحديد، إذا انت من الوالدين اخرج من الرجلين، يا نفس يا نفيسة، اخرجي من هذا الجسم بجاه الله والسيد عيسى، بجاه الرسول والنبي المشكور، اخرجي بإذني الله والرسول، اخرجي يا خائنة، يا عدوة الله، يا تخلي الحجور، وتملئي القبور، اخرجي بإذن الله والرسول ) (بسي، 2016).وهي تردد هذه التعويذة تظهر على المعالجة "الطيّاحة" علامة الحسدّ(التثاؤب المستمر)، ثم تحلُّ العصابة وتُعيد ذرعها، فإن وجدت الشّوكة في مكانها، تعرف أن العيّن لم

تخرج بعد، فتعيد العملية من جديد إلى أن تتحرك الشّوكة من مكانها، وفي ذلك دَلالة على خروج العيّن الشريرة، وبعد أن تتم التّعزيمة تقرأ سورة لا يوجد في آياتها حرف "الفاء"، (الفاتحة كما اخبرتنا الرواية)، وعند الانتهاء تكسر الشّوكات فوق رأس المريض، وهي تردد: "كَسّرت النّفْس مَا كَسّرت العُودان" أي "كسرت سهم العين الذي أصاب المريض، ولم أكسر عيدان الشّوكات"، وتطلب من المريض أن يحرق الشّوك مع بَخور في "دار السقيفة"(غرفة خاصة لاستقبال الضيوف، عادة تكون عند مدخل البيت) ثم يفرغ المريض محتوى المجمرة في الماء، وينثره من خلفه في الشّارع، وهو يردد: "خُوذها من عَطِيتها في جِنَاحك أَدِيتها، نَايَا بِعْتها وانت شِريتّها" أي " خذها يا من أعطيتها، أنا بعتها وأنت اشتريتها". كما تعطي له "الطّياحة"، طُلوقْ(بخور)، ليتبخر به مدة سبعة أيام (ينبوعي، 2016)، وقبل أن ينصرف المريض يجب عليه أن يدفع ثمن المعالجة، لاعتقاد العامة أنه واجب، فإن لم تأخذ "الطّياحة" أجرها يلصق المرض بها.

### 2–2. رموز تعويذة التّحكم السّحري في العيّن الشّريرة

ونحن نقرأ هذه الممارسة، نجد حشدا من الرموز التي تثير فضولنا للحفر في الرّواسب الثّقافية، التي بقيت متجذّرة في العقول والممارسات، مصبوغة بالثّقافة المهيمنة. تأخذ شكل معتقدات بقيت سارية المفعول.فالعين الشّريرة مرض تتسبب به الأرواح الشريرة ودليلنا إلى ذلك ما ورد في التعويذة " أُخرجِي يَا خَايْنة يا بَهاتة، يا كَاسرة العِظام، يا عمَّارة لقْبُور"، وبما أن الطب الرّسمي لا يعترف بالعين الشّريرة، يلجأ المعيون مباشرة إلىّ "الطّياحة"، ولو تساءلنا من الطّياحة؟ فالحفّر في هذا المصطلح يكشف لنا عن ماهيتها ووظيفتها، إذ أن مصطلح "طيّاحة" مشتق من الجذر "طيح"، الذي يحمل في معناه الذّهاب والفناء، ذلك لأن "الطّياحة" بعلاجاتها–حسب الاعتقاد– تُذهب الأمراض والأسقام، حيث جاء في اللّسان: "طيح، طاح، طيحا"، تَاهَ، وطيّح نفسه، وطَاح الشيء طيحا، فَنِيَ وذهب، وأطاحه هو: أفناه وأذهبه (الفضل، 1414 هـ، صفحة 536)، فطّياحة إذن تلطيف لكملة ساحرة، والتّلطيف يهدف إلى قلب المعاني، حيث يخفف من تصوير معنى غير مرغوب ( سحر هنا)، بأن يستبدل اسم أو نعت يعكسه (دوران، 2006، صفحة 91)، على اعتبار أن كلمة ساحرة تأخذ معنى التّحريم والتّجريم في المجتمع. نلاحظ هنا كيف أن المعتقد مضمر في اللّغة، حيث أن "الطّياحة" لفظة شائعة ومقبولة اجتماعيا، المعروف عنها أنها تحمل قوة خفية من خلالها تستطيع التحكم في العالم الخارجي، ومنه ترويض الأرواح الشريرة، وعليه نتأكد أن الاعتقاد في السحر مازال متجذّر في عقول الجماعة الشّعبية في منطقة "وادسوف"، وهذا الاعتقاد له جذور تاريخية، فلقد آمن الكنعانيون بدوره في الشّفاء، إذ نقرأ في أسطورة كريتأن هذا الملك يصاب بمرض، لذا يقوم الرب "إيل"، باستدعاء مجلس الآلهة، ويسأل الآلهة سبع مرات، عمن يستطيع إيجاد علاج لمرض كريت (الماجدي، 1998، صفحة 291).

" الطّياحة" هذه السّاحرة، كما هو الحال عند الطبيب لها تقنياتها الخاصة، ولنجاح العملية، يجب الاعتقاد في نجاعة الطقسبأن تثق السّاحرة في تقنياتها وما تقدمه، وكذلك لابد أن يستحضر المريض النّية، لذلك يقولون:" النّية بالنّية والحاجة مقضية"، أي "النّية تُقضى بها الحوائج" وأيضا يجب اعتراف الجماعة "بالطّياحة" وما تقدمه من عمل. وهذا الاعتقاد والتصديق في ا"لطّياحة" نابع من كونها تنتمي إلى عائلة معروفة بالتدين، ويصطلح على المنتمين لها "الشرفاء" فهم يعتقدون بكونهم، من سلالة النّبي مُحَمَّد ﷺ، وبالتالي لا غرابة أن تكون لهم كرامات، وهذا ما قصده ليقي ستراوس حينما قال:" أن هناك ثلاثة مظاهر يكمل بعضها وهي اعتقاد الساحر بنجوع تقنياته، ثم اعتقاد المريض الذي يعالجه أو الضحية التي يعذبها، بقدرة السّاحر نفسه، وأخيرا، ثقة الرأي الجماعي، ومقتضياته التي تُشكل في كل لحظة نوع من حقل جاذبية تتجدّد داخله علاقة السّاحر بالذين يسحرهم وتحتل مكانها فيه (الماجدي، 1998، صفحة 32). ومن أهم التقنيات العلاجية المذكورة في هذا الطقس التّعويذة، التي يعرفها **غليو نجي**: " بأنها الصيغة اللّفظية التي يتلوها سادن السّحر عند القيام بخدمته، وإنها بشكل عام تتصف بالجمود وعدم القابلية على التغيير، وقد عدّت أهم أركان السّحر ومركز القوة الفاعلة فيه، وتلك القوة منحصرة في صيغتها اللفظية، تنطلق معها من فم المتكلم غير مبالية بشخصه ولا بالمعوذ له، سالكة طريقا ذاتيا لا عودة منها حتى بإرادة قائلها (يحي،

2015، صفحة 230)، ونجد التّعويذه الخاصة بإخراج العين الشّريرة، مليئة بالحمولات الثقافية والدّينية والرمزيّة، من خلالها تتشكّل صورة ذهنية، تضفي عليها الكلمات المركبة من سلسلة من الاستعارات والتّشبيهات والسّجُوع طابع القوة والقدرة، ومنه الاعتقاد في حلول الشّفاء،

نلاحظ أن التّعويذة التي تستعملها "الطّياحة"، فيها استدعاء لشخصيات مقدّسة لها مكانة مرموقة في الثّقافة الإسلامية، وأولهم النّبي مُحَمَّد ﷺ،" (مُحمد صَرختي وعضيدي، مُحمد فَارس الجّهاد، سيدي معملين عَليك، لاَ جُهد وَلا مِقدار)"، فقد ذكرت السّير والمرويات أن النّبي مُحَمَّد كانت له معجزات من بينها شفاء المرضى، كما يروى عنه أنه اعترف صراحة بلعنة العين، في الحديث المنسوب إليه: "العين حق"، كما أن القرآن الذي جاء به يؤكد على وجود الجن والشياطين والعفاريت وشرورهم، وعليه دعا إلى التّحصين من شرها، من خلال الالتزام بأذكار الصباح والمساء، وقراءة المعوذات التي زعم خصومه في ذلك الوقت أن أصلها أسجاع الكهان (دوتي، 2018، صفحة 96). إذن فإن النُّطق باسمه عند تلاوة التّعويذة يعتبر رمزا يحمل قوة وطاقة، يُرجى منها حلول بركة الشّفاء."الطّياحة" تَبتغي من مُحمد صلى الله عليه وسلم أن يصدق عملها، كما صدق عمل فاطمة ابنته على زوجها السّيد علي ﷺ، وهذا الاعتقاد الراسخ تشرحه وتبسطها لأسطورة الشّعبية المؤسسة لهذه التّعويذة وهذا الطقس، تَسرده لنا الرّاوية بقولها: أنّ السّيد علي اشتد به مرض، ولم يجد له أحد علاجا يُذكر، ولما دخل النّبي مُحمد ﷺ، وسأل فاطمة عن حاله، قالت له منذ سبعة أيام وهو على هذا الحال، ولم نعرف سبب المرض، ولم نجد علاجا، قال لها النّبي مُحمد: عِلّته العين الحاسدة، وعلاجه العصابة، قالت أنها لا تعرف هذا العلاج، فقال لها: خذي عصابتك واذرعي، وأنا سأعلمك ما تقولين (وعلمها تلك التّعويذة). كما أنّ الإمام علي اسمه متعلق بالكشف النّوراني، كالكشف عن طلسم لشخص ورع، وقد ذكر أنه قد يظهر لأحدهم في حلم ليعلمه سرّ من الأسرار (دوتي، 2018، صفحة 68)، كما نجد ذكر عيسى، هذا الاسم الذي يحمل رمز ديني، فالسّيد عيسى له معجزات، حيث بكلمة او لمسة منه يشفي المرضى، وتشير رواية أن السّيد المسيح بكلمة منه، تمكن من أن يصيب أناس بالعمى...ونتحدث عن قوة السّحر في المرض في حالات كان يكفي أن يقوم السّاحر بلمس عضو شخص ما حتى يصاب بآلام (يحي، 2015، صفحة 112).

نستنتج من خلال ما تقدم أن هذه الممارسة ليست سحرية خالصة، فهذا الطقس مدعم بالدين ودليلنا في ذلك حضور الأركان الأساسية للدين وأولهما المعتقد الذي هو عبارة عن أفكار واضحة مفادها أن "الطّياحة" (السّاحرة)، هي القادرة على التواصل مع تلك القوى الأعلى من الانسان، ووحده القادرة طرد لعنة العيّن، وبما أن الفكرة لا تعبر عن نفسها إلا من خلال تتابع ممارسات تجسدها نجد الطقس يرغب منه استرضاء وطلب العون من تلك القوى، كما نجد الأسطورة التي تحاول أن تجسد المعتقد بروح شعبي قصصي متداول، فهي تبسط المعتقد وتجعله دنيويا، ميسرا على شكل حكاية تتداول حول المقدس الذي هو جوهر المعتقد (يحي، 2015، صفحة 81).

وبعد تقوية فاعلية التّعويذة العلاجية بذكر مُحَمَّد وفاطمة والسّيد علي، وهي إشارة واضحة أن هذه الشّخصيات لشدة تدينها وتأييد العناية الإلهية إياها، يعتقد أن لهم سلطة على الأرواح الشريرة، تأمر "الطّياحة" الروح الشّريرة التي تسببت فيها العين الحاسدة بالخروج من جسد المريض، ويظهر ذلك في قولها: " كانك من الخدم اخرجي من القدم، كانك من الوالدين اخرجي من الكرعين، كانك من النّساء، اخرجي من لكساء..."،أي (إذا أنت من الخدم أخرجي من القدم، وإن كنت من الوالدين فاخرجي من الأرجل، وإذا أنت من النّساء فاخرجي من الملابس،...)هذه الصيغة نجدها في مصر القديمة، حيث استخدمت التّعاويذ والرّقى في العلاج، وكان ينظر إلى المرض على أنه من فعل روح شريرة، وفي هذه الحال يركز السّحر عليها بالأمر، حين يقال لها مثلا، اخرجي يا كاسرة العظم، يا متسللة الشرايين (يحي، 2015، صفحة 236) من خلال هذه التّعويذة نلاحظ أن الجزء من الجسد الذي تخرج منه العين، تعرف هم "الطّياحة" من خلاله من المتسبب بلعنة العين(المعيان)،ونجد "الطّياحة" تتعمد التهديد والتبخيس والعنف عند إلقاء الكلمات فهي القائلة: " يا عمارة لقبور، يا

خاينة، يا بهاتة"، كما أنها تتظاهر بمعرفة المرض، " يا نفس يا نفيسة"، ذلك أن السّاحر يهتم بمعرفة اسم عدوه، وهو في نظره اسم المرض، لأن معرفة هذا الاسم كانت تمنحه قوة، وتعينه على التركيز ضده (يحي، 2015، صفحة 236).

من خلال ما تقدم يمكننا أن نفهم قوة التّعويذة، ومدى حرص "الطّياحة" على تلاوتها مع مراعاة خصوصيتها، دون الإخلال بترتيبها، لأن التّعويذة كلام مقدّس، وما يجب ذكره أيضا أن الراوية في بادئ الأمر، لم تفصح لي عن هذه التّعويذة، إلا بعدما تأكدت أنني مرسلة من طرف امرأة تمتهن نفس مهنتها، وأكدت لي مرارا أنني لو حاولت استغلال التّعويذة والعمل بها، فإني لن أجد أي نتيجة لأنني لم أخذ الإذن حسب قولها، وفي هذا دلالة على مدى اعتقاد "الطّياحة" بقدرة التّعاويذ على الشّفاء، وأي اختراق لخصوصيتها كأن تستعمل دون إذن، أو وقوع خطأ دون قصد في ترتيب لفظها، أو تغير في الكلمات، سيؤدي بقائلها إلى ما لا تحمد عقباه، والنّية هي نقطة قوة "الطّياحة" كما ذكرنا.

يخص ما سبق ذكره الطقس الشّفوي، الذي عادة ما يكون متبوعا بطقوس سحرية علاجية، فالطقس هو ما يثبت الأسطورة والمعتقد من خلال الممارسات العملية، وتندرج هذه الممارسة تحت نوع السّحر الأبيض، وبتحليله نجد نوعا من السّحر الاتصالي بين المعالجة وأثرها (العصابة). والعصابة تميمة من بقايا العقيدة الفتشية، تستخدمها السّاحرة، لاعتقادها أنهما تجتمع فيهما قوة العالم والكون، تكون مشحونة بقوة عالية، تكتسبها عن طريق الكلمة السحرية، (المتمثلة في التّعويذة) ، ويستعمل الساحر الفتيش للسّيطرة أو تحريك العالم الذي يحيط به، حيث أصبحت القوة الخفية هنا في نفس السّاحر وفي الشيء... ولذلك صارت العلاقة بين السّاحر والشيء هي منطقة قوة السّحر (الماجدي، 1998، الصفحات 48–47). بهذا تتظافر القوة العلاجية النّابعة من نفس المعالجة، والعصابة، بعد نزعها من رأسها، هذه القوة تؤثر على الشّوكات فتتحرك من مكانها، وبالتالي إبطال مفعول العين الحاسدة، كما أنّ هناك نوعا آخر من السّحر الاتصالي، بين المريض وأثره، ذلك أنه كلّما تقرأ "الطّياحة" التّعويذة على أثر المريض، يتأثر المريض نفسه، تبعا لهذا تشعر "الطياحة"(السّاحرة) بالتثاؤب، الذي يعتبر دليلا على خروج العين من جسد المريض (ينبوعي، 2016)، "تقوم هذه الممارسة كلها على الاعتقاد بأن جزءا من الجسد أو شيئا يكون مجاورا له، أو محتكا به، يمكنه أن يأخذ مكان الجسد، وأنه إذا ما مورست عليه بعض الأفعال يتعرض الجسد الذي ينتمي إليه الجزء إلى ما تعرضت له الطريقة نفسها، أنه مبدأ السّحر التّأثيري" (دوتي، 2018، صفحة 60)

كما نلمح جليا حضور السّحر التّشابهي، حيث يُرجى من فعل مادي إحداث أثر معنوي، فكسر الشّوكات كناية عن كسر لعنة العين الحاسدة وإبطال مفعولها، لهذا فالطّياحة تردد "كَسَّرْتُ النَّفس مَا كَسَّرْتُ العُودَان أي (الشوكات)".

ونجد من التقنيات المستعملة في هذا الطقس السّحري الماء والنّار فهذه التقنيات الرمزية المرتبطة بالتطهير. التطهير طقسا من طقوس الشّفاء، ويشمل تطهير جسد المريض أو بيئته، وكان التّطهير يجرى من خلال استعمال الماء أو الزيت، أو الدخان من خلال إحراق البخور، الذي يطرح الأرواح الشريرة، لأنّه نابع من النّار والذي تشرف عليه آلهة طاردة للشّر (الماجدي، 1998، صفحة 233)

تعتبر النّار منذ العصور القديمة رمزا للتطهير، ففي بعض الشّعائر المسيحية، كلمة "طاهر"، هي أصل كل الطهارات، تعني النّار، كما في السنسكريتية (دوران، 2006، صفحة 150) وترتبط النّار بالكلمة، ففي التّوراة، ترتبط بكلام الله، وبكلام النّبي الذي "تطهر"، شفتاه بجمرة ملتهبة (دوران، 2006، صفحة 153).ونجد الماء ضمن هذا الطقس، فهو رمز الحياة والتّطهر، والإحياء والتّجديد، ويلاحظ "باشلار" أن المياه أكثر من أي مادة أخر، توقظ الجسم وتعيد إليه الشباب، (دوران، 2006، صفحة 150)وكما نعلم فإن الماء هو أساس الحياة، لقوله تعالى: {وجعلنا من الماء كل شيء حي}، فالماء إذن عنصر هام في إرجاع المريض (المعيون) إلى الحياة، من خلال تعطيل مفعول العين. وهكذا نرى كيف يتلاقى في عملية العلاج من العيّن الحاسدة، النّار التي أحرقت الشّوكات، والماء الذي بدّد وأطفأ نار الحسد، وأصبحت تأثيراته بين يدي المريض على شكل رماد، يضعها في المجمرة ويلتفت إلى الخلف وينثرها وهو يردد التعويذة: " خوذها يا من عطيتها في جناحك أديتها نايا (أنا) بعتها وانت شريتها"، أي(خذها يا من أعطيتها، في جناحك أخذتها، أنا بعتها وأنت اشتريته).

يتجلى من خلال هذه التّعويذة الاعتقاد الرّاسخ عند العامة أن المرض تسببه، قوى خفية علوية، وبالتالي الإقرار بوجود المقدّس المنفصل عن العالم الدنيوي، وقد أصبح هذا المقدّس لاحقا، يعني الإلهي (الماجدي، 1998، صفحة 36) الذي يتوسط قوى أقل منه مقدرة، هذه القوى يرمز إليها في هذا الطقس "الجناح". فالجناح كما هو معلوم رمز للطيران والتحليق إلى الأعلى، ويؤكد "باشلار" بعد السّحرة الروحانيين، عندما رأى أن الجناح هو قبل كل شيء وسيلة رمزية للتطهير العقلاني، وفي منظار علم النّفس يكون مصير الجناح التحول نحو الملائكية (دوران، 2006، صفحة 106)، فيتخيل المريض وعن طريق أجنحة الملائكة ستطهره من اللّعنة التي تُرفع إلى الفوق، ولن تحلّ عليه هذه اللّعنةّ مجددا، لهذا يقول: " نايا بعتها وانت شريتها"، لأن البيع هو عقد ملكية، فالمرض إذن خرج من ملكية المريض، وأصبح ملكا للقوى السماوية، فالمرض إذن هو هبوط من المقدس إلى المدنس، والشفاء هو الارتقاء من المدنس إلى المقدس. أما عن حركة رمي بقايا المجمرة إلى خلف، يمكن أن تأخذ تفسيرا آخر، فرمي الشيء من وراء دلالة على الاعتباطية والعشوائية، فيعتقد مثلا أن العروس حين ترمي الورد يجب أن ترميه من خلفها، والتي تقع بين يديها تلك الورود فإنها ستتزوج مباشرة عقب صديقتها، وكذلك الحال في هذا الطقس، فإن هذه الحركة التي يقوم بها المريض، تدل على أن لعنة العيّن الحاسدة لم يتم القضاء عليها نهائيا، ونستدل على هذا من خلال قوله:(في جناحك أديتها)، أي أنها مازالت موجودة في الأعلى، فقط هي غادرت روح المريض، وبالتالي فإن أول شخص يدوس بقدمه على بقايا المجمرة تلتصق به مباشرة لعنة الحسد، فهي إشارة واضحة إلى محاولة تمرير هذه اللّعنة إلى أي شخص، فيمكنها أن تلصق بشخص خرق تابو، أو شخص يتحدث عن نعمه دون تحصين. "ونقل السّحر عمل من أعمال السّحر المعدي، شاع في العديد من ثقافات الماضي والحاضر، إذ كان يعتقد أن الأمراض التي يصاب بها المرء لأسباب طبيعية أو خارقة للطبيعة لا يمكن القضاء عليها، ومن ثم، كانت الوسيلة الوحيدة لعلاج الأمراض هي تمريرها لأشخاص، آخرين من خلال ممارسة بعض الطقوس" (ديفينز، 2014، صفحة 90).ونجد "للتّابو" حضورا في هذا الطقس، فيلزم على "الطّيّاحة" أن تقرأ سورة لا يوجد في آياتها حرف "الفاء"، وقد أخبرتنا "الطيّاحة" أنها تقرأ سورة الفاتحة، وفي الثّقافة الإسلامية، يُنّصحُ للمريض الرُّقية بقراءة سورة الفاتحة سبع مرات، لما تحمله من طاقة شفائية.

يندرج الاعتقاد في العيّن الحاسدة، ضمن أقدام المعتقدات السّحرية التي تشكل إرثا فولكلوريا مشتركا لدى أمم حضارات الأرض المتباعدة، فقد عرفته شعوب الغرب، والشرق، من اليونانيين والرومانيين والبابليين والقرطاجيين وغيرهم (غنيم و فاتن مُحَّد شريف، صفحة 1).وقد حرصت شعوب البحر المتوسط منذ القديم على اقتناء التمائم التي تشبه العيّن إلى حد ما، والأحجية للغرض نفسه، وقد عرف آثرها في العصر الجاهلي عند العرب (هيبة و جفال نور الدين، 2019، صفحة 63)،ويظهر الحسد عند السومريين في أحد النصوص التي تدور حول عشتار وابنها الإله الممزق تموز الذي أردته قتيلا حين سلطت عليه نظرة الحسد، ويظهر الحسد أيضا في أسطورة "أنانا" عندما هبطت للعالم الأسفل ورأتها أختها الإلهة "أرشيكال" فحسدتها بأقصى أنوع الحسد (القتل)، وكانت أرشيكال الظاهرة تجلس على عرشها فسرّبت نظراتها إليها، نظرات الموت.

ونطقت بكلمة ضدها كلمة سخط

وأطلقت صرخة ضدها، صرخة إثم

فتحولت الفتاة العليلة، إلى جثة هامدة (طه، 2009، صفحة 118).

**الخاتمة:**

وفي الأخير نخلص من هذا العرض "الطّياحة والتّحكم السّحري في العين الشّريرة" إلى ما يلي:

الاعتقاد في العيّن الشّريرة يؤخذ بعد عالمي كما أثبتت الدراسات الأنثروبولوجي، فكل المجتمعات الإنسانية آمنت بها، ومارست طقوسا علاجية سحرية، لدرء خطرها وأخرى لعلاجها، وبالاستناد إلى النّظرية التّطورية، نستنتج أن الطّياحة سريرة السّاحرة، فهي بقايا معتقدات غابرة غلفت بطابع ديني إسلامي عمل على شرعنتها وضمان استمرارها المعتقد والطقس والأسطورة، كما يمكن أن نفسر بقاء "الطّياحة" هو امتداد لعقلية السّلطة على اعتبار أنها تنتمي إلى أسرة شريفة، يعطي لها المجتمع مكانة خاصة.

الإيمان بوجود قوة منفصلة على العالم الدنيوي، والعلاج السّحري كما تقدم يعتقد انه وسيط بين المقدّس والمدنّس، فكل الممارسات السّحرية، وتقنياتها هي محاولة لاسترضاء الإله المقدس.

كما تبرز لنا هذه الورقة البحثية، عن الثّقافة الاستهلاكية المنتشرة في المنطقة، فهناك سحرة يكسبون المال من وراء امتهانهم هذا العمل، فكما ذكرنا يُلزم المريض بدفع أجرة للساحرة، بدعوى إن امتنع عن الدفع تلتصق بها لعنة العين، كما أن هناك تجار يُحسنون التّرويج لسلعهم، فنجد الكثير من الباعة يبيعون أشكال من السلاسل والخرز والمجوهرات الخاصة بدرء الحسد، ونرى تهافت النّاس عليها. كما لاحظنا أن أغلب المترددين على "الطيّاحة" ليس لديهم مستوى تعليمي، ولكن ما لحضناه أيضا أن هناك الكثير من المتعلمين يترددون عليها، ويمكن تفسير ذلك بأن الإنسان بصفة عامة يخاف المجهول، ويعوز الأمراض التي عجز عن تفسيرها إلى قوى خبيثة.

## – الإحالات والمراجع :


- ابراهيم مُحَمَّد الساسي. (2007). ***الصروف في تاريخ الصحراء وسوف***. الجزائر: الأبيار.
- ابن منظور جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن علي ابو الفضل. (1414 ه). ***لسان العرب***. لبنان: دار صادر.
- أحمد زكي بدري. (1978). ***معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية***.
- أحمد مختار عمر. (2008). ***معجم اللغة العربية المعاصرة*** (المجلد 1). مصر/ القاهرة: عالم الكتب.
- إدموند دوتي. (2018). ***السحر والدين في شمال افريقيا*** (المجلد 1). (فريد الزاهي، المترجمون) رؤية للنشر والتوزيع.
- أسامة عدنان يحي. (2015). ***السحر والطب في الحضارات القديمة –دراسة تاريخية مقارنة–*** (المجلد 1). العراق (بغداد): أشور بنيبال للكتاب.
- أوين ديفينز. (2014). ***السحر مقدمة قصيرة جدا*** (المجلد 1). (رحاب صلاح الدين، المترجمون) هنداوي.
- إيفان كونج. (1999). ***السحر والسحرة عند الفراعنة***. (فاطمة عبد الله محمود، المترجمون) الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- بوعريريج هيبة، و جفال نور الدين. (2019). **العين كمفعول انربولوجي يثبت الإعتقاد وطوس الرقوة الشعبية بمدينة تبسة شرق الجزائر**. ***انثربولوجيا***.
- جيلبير دوران. (2006). ***الانثربولوجيا رموزها أساطيرها، أنساقها*** (المجلد 3). (مصباح الصمد، المترجمون) مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- جيمس جورج فريزر. (2014). ***الغصن الذهبي –دراسة في السحر والدين–*** (المجلد 1). دار الفرقد.
- حمومة ينبوعي. (01 11، 2016). وادي سوف.
- خزعل الماجدي. (1998). ***بخور الآلهة –دراسة في الطب والسّحر والأسطورة والدين–*** (المجلد 1). المملكة الأردنية الهاشمية: الأهلية للنشر والتوزيع.
- شارلوث ستمور شميث. (2009). ***موسوعة علم الإنسان، المفاهيم، والمصطلحات الأنثربولوجية*** (المجلد 2). (مجموعة من أساتذة علم الإجتماع باشراف مُحَمَّد الجوهري، المترجمون) المركز القومي للترجمة.
- شاكر سليم مصطفى. (1981). ***قاموس الانثربولوجيا*** (المجلد 1). جامعة الكويت.
- قمرة بسي. (5 10، 2016). وادي سوف.
- مُحَمَّد أحمد غنيم، و فاتن مُحَمَّد شريف. (بلا تاريخ). ***السحر والحسد في المجتمعات الريفية***. منشأ المعارف بالاسكندرية.
- مريم عمامرة. (بلا تاريخ). وادي سوف.
- نظال فخري طه. (2009). **الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعب**ي في محافظة رام الله. فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.